

أضواء البيان

@ 52 ذكر جلّ - وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكفار يحشرون على وجوههم إلى جهنم يوم بالقيامة ، وأنهم شرّ مكانًا وأضلّ سبيلًا . وبيّن في مواضع أخر أنهم تكبّ وجوههم في النار ويسحبون على وجوههم فيها ؛ كقوله تعالى : { وَمَنْ جَاءَ بِالسَّبْيَةِ فَكُذِّبَتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ } ، وقوله تعالى : { يَوْمَ تَقْلَبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ } ، وقوله تعالى : { يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وجوههم ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ } ، وبيّن جلّ - وعلا في سورة (بني إسرائيل) أنهم يحشرون على وجوههم ، وزاد مع ذلك أنهم يحشرون عميًّا وبكمًّا وضمًّا ، وذكر في سورة (طه) ، أن الكافر يحشر أعمى ، قال في سورة (بني إسرائيل) : { وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَضُمًّا وَأَوْاهُمْ جَهَنَّمَ كُلًّا مَا خَبِتْ زِدْ نَاهُمْ سَعِيرًا } ، وقال في سورة (طه) : { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا } . .

وقد بيّنا وجه الجمع في آية (بني إسرائيل) ، وآية (طه) المذكورتين مع الآيات الدالّة على أن الكفار يوم القيامة يبصرون ويتكلّمون ويسمعون ؛ كقوله تعالى : { أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُ تَوْنًا } ، وقوله تعالى : { رَبِّ سَدِّدْ أَبْصِرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنْ زَلَّامُونَ } ، وقوله تعالى : { وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوقِنُونَ } ، وقوله في سورة (طه) ، في الكلام على قوله تعالى : { وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } ، وكذلك بيّنا أوجه الجمع بين الآيات المذكورة في كتابنا (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) ، في الكلام على آية (بني إسرائيل) المذكورة . .

وصيغة التفضيل في قوله : { أُولَئِكَ شَرُّ مَكَّانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا } ، قد قدّنا الكلام في مثلها في الكلام على قوله : { أَذَلِكَ خَيْرٌ * إِنْ جَنَسَتْ الْخُلُودِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ } ، والمكان محل الكينونة . والظاهر أنه يكون حسيًّا ، ومعنويًّا . فالحسي ظاهر ، والمعنوي ؛ كقوله تعالى : { قَالَ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوَسِّفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ } ، والسبيل الطريق وتذكّر وتؤنّث كما تقدّم ،

ومن تذكیر السبیل قوله تعالى : { وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ
سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا } ، ومن تأنيثها قوله
تعالى : { قُلْ هَآذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّٰهِ عَلٰى بَصِيْرَةٍ } .